## السنة الخامسة عشرة من الهجرة

وفيها كانت وقعةُ المرجِ بدمشق، جهَّز هِرَقْلُ بِطريقاً يُقال له: توذرا من عُظماء أصحابهِ، فنزل المرجَ، فخرج إليه يزيد بنُ أبي سفيان، فقتله واستباح الرومَ، وكان أبو عُبيدة وخالدٌ ﷺ قد أَوْغلا في بلاد الروم، فقتلا جمعاً من البطارقة، وهرب هِرَقْلُ إلى الرُّهاء، وجاء أبو عبيدة وخالد فنزلا حمص.

## فصل في ذكر فتوح حمص

أقام عليها عسكر المسلمين مُدَّة، وكان بها جَمْعٌ عظيمٌ، واشتدّ عليهم الحصارُ، واتفق أنها زُلزلت، فوقعت دورٌ كثيرةٌ وقطعةٌ من سور البلد، فبادروا إلى الصُّلح، ولم يعلم أبو عبيدة بما حدث فيهم، فصالحهم على صلح دمشق، وكتب بالفتح إلى عمر، وبعث بالغنائم مع عبد الله بن مسعود وقال له: أخبره بأن هرقل قطع الفُرات.

## ذكر فتح حصن قِنَّسرين

كان على الحاضر بِطريقٌ يقال له: مساس في جمع، وكان مثل هرَقْلَ في عيونِ الروم، فنازله خالدٌ، فخرج إليه فاقتتلا، فقتله خالد وفتح حصن قِنَّسرين وأخربهُ، وصالح أهلها على صلح دمشق.

## ذكر مسير هِرَقْلَ إلى القسطنطينية

لما عبر هِرَقْلُ إلى الفُرات جهَّز إليه أبو عبيدة الجيوش، فنازلوا الرُّهاء، فسار إلى سُمَيْساط، ثم تحمَّل إلى الروم، والتفت إلى الشام وقال: السلامُ عليك يا سورية ـ يعني الشام ـ قد كنت[1] أُسلِّم عليك سلامَ مُوَدِّع، وهذا سلامُ مفارقٍ لا اجتماع بعده أبداً، وهذا قولُ ابن إسحاق، وقال سيف: إنما خرج هرقل إلى القسطنطينية في سنة ست عشرة[2].

---

(١) في (ك): يعني الشام قال يا سورية قد كنت.

(٢) من قوله: وهذا قول ابن إسحاق... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

وفيها كتبَ عمر بن الخطَّاب إلى أبي عبيدة أن يُولّي معاوية بن أبي سفيان حرب قَيْسارية، ويولي عمرو بن العاص حرب إيلياء يعني بيت المقدس، وقال هشام: إنَّما وَليَ حربَ الساحل عمرو بن العاص[١].

وفيها جرت وقعةٌ أخرى بأجنادين. قال سيف وغيره: لما فتحت حمص وقِنَّسرين اجتمع عسكرُ الروم بأجنادين وقَيْساريّة وغزّة والسواحل، فجهَّز إليهم أبو عبيدة شُرَحبيل بن حَسَنة ومعاوية وعمرو بنَ العاص وعلقمة بن مُجَزِّز، وكان بأجنادين الأرطَبون من عظماء الروم، وبغزة القيقار عظيمٌ آخر، فنازل معاوية قيسارية، فخرجوا إليه مراراً وهو يهزمهم، فيقال: إنه قتل منهم ثمانين ألفاً، ثم افتتحها، وكان الأرطبون ملكاً ذا رأي داهيةً، وهو نائب هرقل بالسواحل والقدس.

ومضى علقمة بن مجزز فنازل القيقار بغزة، والأرطبون نازلٌ بأجنادين، وعساكر المسلمين بإزائه، عليهم عمرو بن العاص لا يَقدرون على شيءٍ، وكان عمر قد استخلف أبا الأعور السُّلَمي على الأردن، وجعل على مقدّمته شرحبيل بن حَسَنة، وعلى الميمنةِ ولده عبد الله بن عمرو، وعلى الميسرة جُنادة بن تميم المالكي، فنازل أجنادين، والروم في الحصون قد خَندقوا عليهم، ورتَّب الأَرطبون العساكر بالرَّملة وإيلياء، فأقام عمرو مُدَّةً لا يقدرُ منهم على شيء، فسار[٢] فنزل على غزة، فبعث إليه عِلْجُها: ابعث إليّ رجلاً من أصحابك حتى أكلّمه، [ففكّر عمرو وقال: مالهذا أحد غيري، فخرج حتى دخل على العِلْج فكلّمه، فسمع كلاماً لم يسمع مثلَه قط، فقال العِلج: حدِّثني هل في أصحابك أحدٌ] مثلُك[٣]، فقال: لا تسأل عن هواني عليهم إذ بَعثوني إليك، وعَرَّضوني لما عَرّضوني له، [ولا يَدرون ما تصنع بي] فأمر له بجائزةٍ وكُسوة، وأرسل إلى بوّابه: إذا مرَّ عليك فاقتُله وخُذْ مامعه، فمرّ عمرو برجلٍ من نصارى غَسّان فعَرفه، فقال: يا عَمرو، قد أحسنتَ الدخول فأحسن الخروج، ففَطِن،

(١) قوله: وقال هشام... ليس في (أ) و(خ).

(٢) في (ك): لا يقدر منهم على شي، فدخل عمرو على الأرطبون في زي رسول، فعرفه، فأراد قتله، فخدعه عمرو ونجا منه. وبهذا اختصر القصة التي وردت في (أ) و(خ).

(٣) في (أ) و(خ): ابعث إلي رجلان من أصحابك حتى أكلمه يقال مثلك، والمثبت من العقد الفريد ١/ ١٢٤ .

فعاد إلى العِلج، فقال له: ما الذي رَدَّك؟ فقال: نظرتُ فيما أعطيتَني، فلم أجد ذلك يَسَعُ بني عميّ، وقد أردتُ أن آتيك بعشرةٍ منهم لتُعطيهم هذه العطيّة، فيكون معروفُك عند عشرة خيراً [من أن يكون] عند واحد، فقال: صدقتَ، وأرسل إلى البوّاب: لا تقتلْه، وخرج، فلما صالح العِلْج بعد ذلك ودخل على عمرو قال له: أنت هو، قال: نعم على ما كان من غَدرِك، ولما بلغ ذلك عمر بنَ الخطاب رضوان الله عليه أنكر على عمرو وقال: غَرَّرْتَ بنفسك فلا تَعُدْ، وقيل: إن الواقعة كانت لعلقمة بن مُجزِّز[١].

وقال ابن الكلبي ـ وقد حكاه جدي في كتاب «الأذكياء» ـ إن الواقعة كانت مع القيقار صاحب غزَّة[٢].

وقال سيف[٣]: ثم التقوا بأجنادين، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وقُتل بينهم خلقٌ كثير، وهرب الأرطبون إلى إيلياء، وقيل: بل سار على حاميةٍ[٤] حتى نزل القدسَ بجموعه، ونزل عمرو بأجنادين، فأرسل إليه الأَرطبون: والله لا تفتحُ بعد أجنادين من فلسطين شيئاً، فارجع ولا تتعب، فإنَّ صاحب هذا الفتح رجلٌ اسمه على ثلاثة أحرف، ففهم عمرو أنه عمر، فجمع الأمراءَ وأخبرهم، فقالوا: اكتب إلى أبي عُبيدة، فكتب إليه، وقيل: إن عَمراً هو الذي كتب إلى عمر، فأخبره بما قال الأرطبون، فعزم عمر على الخروج إلى الشام، وكان في كتاب عمرو إلى عمر: إنَّ القوم قد وجدوا في كُتبهم صفتك، وقد اجتمع ببيت المقدس من الملوك والبطارقة والعظماء والعَدد والعُدد ما لا يدخُلُ تحت حد ولا حصر، فاقدُم لعلَّ الله أن يَجعل هذا الفتح العظيم على يدك.

## ذكر خروج عمر بن الخطاب إلى الشام المرة الأولى

وقد اختلفوا في صفة قُدومِه، قال علماء السير: وهذه أوّلُ خَرْجةٍ خرجها في الإسلام، أما في الجاهلية فقد خرج تاجراً مراراً ودخل دمشق. وقيل: إن خَرْجاته إلى

(١) من قوله: فسار فنزل... إلى هنا ليس في (ك).

(٢) الخبر في الأذكياء ٤٥ عن ابن الكلبي بين عمرو بن العاص وعلج غزة، كما وردت عن العقد.

(٣) من قوله: وقال ابن الكلبي... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

(٤) في (أ) و(خ): على حاله.

الشام، فما وصل إلى دمشق[١].

قال سيف: ولما عزم على المسير قال له علي بن أبي طالب: أين تُريد بنفسك وبين يديك عدوٌّ كَلِبٌ؟! أقم ولا تُغرّر بنفسك، فقال: أبادرُ بجهاد العدوّ موتَ العباس[٢]، إنكم إن فقدتم العباس انتقض[٣] بكم الشرّ كما يُنتقض الحبْل، فمات العباس [لستّ خلون من إمارة عثمان] فانتقض بالناس الشر[٤]، واستخلف على المدينة عليَّ بن أبي طالب، وكتب إلى أمراء الأجناد[٥] بالشام أن يَستخلفوا على أعمالهم، ويُوافوه بالجابية، فكان أوّل مَن لَقيه يزيدُ بن أبي سُفيان، ثم أبو عبيدة، ثم خالدُ بنُ الوليد.

قال الهيثم: وكان عليهم أَقبيةُ الدِّيباج والحرير، وهم على الخيول المسومة[٦]، فنزل عمر عن بعيره، وأخذ الحجارة، وجعل يرميهم بها، وقال: ويحكم إيّاي تَستقبلون بهذا؟ ما أسرع ما نسيتم، لقد كَثُرت فيكم البِطنة، وإنما شبعتُم منذ سنين، ولو فعلتموها على رأس المئة لاستبدلتُ بكم غيركم، فقالوا: يا أمير المؤمنين، إن علينا السلاح، ونحنُ في مقابلة العدوِّ، فقال: نعم إذن.

ثم نزل الجابية فرآه رجلٌ من يهود دمشق، فقال: السلامُ عليك يا فاروق، أنت والله صاحبُ إيلياء، لا تَرجعُ عنها حتى تفتحها، فقال عمر: إن شاء اللهُ تعالى.

## ذكر خطبة عمر بالجابية

قال أحمد بن حنبل بإسناده عن ابن عمر: إن عمر خطب بالجابية فقال: قام فينا رسولُ الله ﷺ مَقامي فيكم فقال: «استوصوا بأصحابي خيراً، ثم الذين يَلونهم، ثم

(١) من قوله: ذكر خروج عمر... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

(٢) في هامش (خ) حاشية نصّها: يعني أن عمر رضي الله عنه يستفتح بعمه عليه السلام ويستبشر ويتبرّك بوجوده الشريف، فأراد فتح المسجد الأقصى قبل موته.

(٣) في (خ) و(م): لا ينقض، والمثبت من المنتظم ٤/ ١٩٢، والطبري ٣/ ٦٠٨.

(٤) من قوله: وبين يديك عدو كلب... إلى هنا، ليس في (ك).

(٥) في (ا،ك): الأمراء والأجناد.

(٦) في هامش (خ) حاشية نصها: حكمة في بيان المغلوبية للعدو فتأمل.

الذين يَلونهم، ثم يَفشو الكذبُ، حتى إن الرجل ليَبتدئ بالشهادة قبل أن يُسألها، فمَن أراد بَحْبَحَة الجنة فليلزم الجماعة، فإن الشيطانَ مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد. لا يَخلُونَّ أحدُكم بامرأةٍ، فإن الشيطان ثالثُهما، ومَن سَرَّته حسنتُه وساءته سيئته فهو مؤمن»[١]. هذا لفظُ المسند، وأما الخطبةُ فقد رواها ابن إسحاق والواقدي وهشام، وهي خطبةٌ طويلةٌ كثيرة الروايات، منها أنه قال بعد حمدِ الله والثناء على رسولهِ: أيُّها الناسُ[٢]، أَصلحوا سرائركم تَصلح علانيتُكم، واعملوا لآخرتكم تُكفَوْا أمرَ دُنياكم، واعلموا أن رجلاً ليس بينه وبين آدم أب لمعرِقٌ في الموتى، سمعتُ حبيبي ـ وبكى وقال ـ رسول الله ﷺ يقول . . . وذكر هذا الحديث[٣]. وقال الواقدي: وجاءه أهلُ الجابية فصالحوه على الجزية.

## حديث راهب دير العَدَس

روى زيدُ بن أسلم عن أبيه قال: لما نزل الجابيةَ عمرُ، أتاه راهبُ دير العَدَس بكتابٍ فقال: أوفِ بشرطي، فلما رآه عجِب ووفى له، فقيل لعمر: ما هو؟ فقال: خرجتُ في الجاهلية إلى الشام، فدخلتُ دمشق رمعي تجارةٌ، فبينما أنا أمشي في بعض أسواقها إذا ببِطريقٍ قد قبض على يدي، وجاء بي إلى كنيسةٍ فيها تُراب كثير فقال: أخرجه، وجاءني بمِجرْفةٍ وزِنْبيل، قال: فوقفتُ مُتحيراً في أمري لا أدري ما أصنع؟ وجاءني وقت الهاجرة فقال: ما أراك صنعتَ شيئاً، ولطمني في رأسي لطمةً هائلةً، فضربته بالمجرفة في رأسه فنثرتُ دماغَه، وحفرت له في التراب ودفنتُه، وخرجت من البلد لا أدري أين أذهب؟

فمشيتُ يومي وليلتي، فانتهيتُ إلى ديرٍ، فجلستُ تحت حائطه، وإذا بهذا الشيخ الراهب قد خرج من الباب، فصوَّب النَّظر فيَّ وقال: أرى عينك عينَ خائفٍ، ادخل. فدخلتُ فقدَّم إليَّ طعاماً، فأكلتُ، وهو يُصوِّبُ النظر ويُصعِّدهُ فيَّ، فقلت: مالك؟ فقال: اعلم أنه لم يَبق على وجه الأرض أعلمُ مني بالكتب السالفة، وإني أجد هذه

(١) مسند أحمد (١١٤).

(٢) من قوله: هذا لفظ المسند... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

(٣) من قوله: سمعت حبيبي... إلى هنا ليس في (أ) و(خ)، وإنما جاء بدله فيهما: وهي طويلة.

الصفةَ في كُتبنا، وأنك تُخرجنا من هذه الأرض، فقلت: لقد ذهبتَ كلَّ مَذهب، وضَللتَ وما أنت إذاً من المهتدين، فقال: ما اسمُك؟ قلت: عمر، قال: أنت والله صاحبُنا من غير شكّ، ثم أخرج إليَّ هذا الكتاب، وقال: اكتب لي على ديري ومافيه، فإن كنتَ ذاك فما يَضرُّك، فكتبتُ له، وختمتُ عليه، وزوَّدني طعاماً كثيراً، ونفقةً وثياباً، ودفع إلي أتاناً وقال: اركبها، فإنك لا تمرُّ بأهل دَيرٍ إلا أكرموك وعلفُوها وسقوها، فإذا بلغتَ مَأمنك فاضرب وجهها مدبرة، فإنها ترجع إلي.

قال: فخرجتُ، فوجدتُ ماقال، ووجدتُ رِفقةً من أصحابي، فضربتُ وجهها فولَّت مُدبرةً، ثم أكرم الراهب، وكتب في كتابه:

وعليكم أن تُضيفوا المسلمين، وتقوموا بأمر المرضى وتدلوا الحائرين[١]، قال: نعم.

وقال طارق بن شهاب: لما قدم رضوان الله عليه الشام تلقته[٢] الجنود وعليه إزارٌ وخُفَّان وعمامة، وهو آخذٌ برأس راحلته يخوض الماء، وقد نزع خُفَّيه ووضعهما[٣] تحت إبطيه، فقيل له: يا أمير المؤمنين، الآن تَلقاك الجنود وبطارقةُ الشام وأنت على هذه الحال، فقال: إنا قوم أعزَّنا الله بالإسلام، فلا نطلب العزَّ بغيره، فقال له أبو عبيدة: قد صنعتَ اليوم صنيعاً عظيماً عند الناس، فصكَّ عمر في صدره وقال: لو غيرك يقولها، ثم قال: ويحكَ يا عامر، كنتم أذلَّ الناس وأقلَّهم وأحقرهم، فأعزَّكم الله بالإسلام، فمهما تَطلبون العِزَّ بغيره يُذلَّكم الله. ثم جيء ببِرذونٍ، فقيل له: اركب هذا ليراك العُظماء، فقال: دعوني، وأشار بيده إلى السماء[٤]، ولم يركبه.

وقال زيد بن أسلم: لما خرجَ عمر إلى الشام سلك على طريق أَيلة، فلما قرب من الشام عمد إلى مَركب أسلم فركبه وعليه فَروٌ مقلوب، وحوَّل غلامَه إلى مركبه، وكان على جملٍ أحمر قد ارتدى بعمامته، وتحته حقيبة على فرو، والعباس بين يديه على

---

(١) في (أ) و(خ): وتنزلوا الجائزين، والخبر في المجالسة (٢٠٠١)، وتاريخ دمشق ٥٣/ ٤ ـ ٥ و ١٨/ ١٤٥-١٤٦ (مخطوط).

(٢) في (ك): لقيته.

(٣) في (ك): وجعلهما.

(٤) في تاريخ دمشق ٥٣/ ٢ : إنما الأمر من ها هنا وأشار بيده إلى السماء.

فرس، وكان العباس وسيماً جميلاً، فجعل البطارقةُ والعظماء يُسلمون على العباس، وهو يُشير إلى عمر، فيرجعون فيُسلّمون عليه، وسجد له جماعةٌ من القِسّيسين والرهبان فمنعهم وقال: لا ينبغي السجودُ إلا لله تعالى، وقالوا: ما رأينا أحداً أشبه بأوصاف الحواريين من هذا الرجل[١].

وقال هشام: تلقّاه أهلُ الأديان والمقلِّسون بالسيوف والرَّيحان، فكره عمر النظر إليهم، وقال: ردُّوهم، فقال له أبو عبيدة: إنها سنة الأعاجم، فإن منعتَهم ظنوا في نفوسهم أنه نقضٌ لعهدهم، فقال عمر: دعوهم، عمر وآل عمر في طاعة أبي عبيدة[٢]. قال الجوهري: التقليس: الضرب بالدف والغناء[٣].

وكان أبو عبيدة لما التقى عمر قبَّل عمر يدَ أبي عبيدة.

وقال الواقدي: قدم عمرُ الشام على حمار ومعه عبد الرحمن بن عوف، فتلقَّاه معاوية بن أبي سفيان في موكبٍ نبيلٍ، فجاوز عمر ولم يعرفه، فأُخبر أنه قد تقدّمه، فرجع إليه فترجَّل، وقبَّل يده، ومشى إلى جنبه وعمر مُعرض عنه، فقال له عبد الرحمن: أتعبت الرجل فقال له عمر: يا ابن أبي سفيان، أنت صاحبُ الموكب آنفاً مع ما يبلغني من وقوف ذوي الحاجات على بابك؟!

فقال: يا أمير المؤمنين، إنا في بلاد فيها جواسيس العدو، ولا بد ما نردعهم بما نُروّعهم به من هيبة السلطان، فإن أمرتَني أقمتُ على ما أنا عليه، وإن نهيتَني انتهيتُ، فلم يرد عليه شيئاً[٤]، وفي رواية: علِّمني وفهِّمني ـ وهي جيدة في الجواب ـ فلم يردّ عليه شيئاً.

وقال أبو العالية الرِّياحي[٥]: قدم عمر رضوان الله عليه الشام على جملٍ أَوْرق، تلوح صَلعتُه [في الشمس]، ليس عليه عمامةٌ ولا قلنسوة، قد طبق رجليه بين شُعْبَتَي

(١) تاريخ دمشق ٨/ ٩٠٢-٩٠٣ .

(٢) أخرجه البلاذري في فتوح البلدان ١٤٥ ، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٢/ ١١٦-١١٧ (الفكر)

(٣) الصحاح (قلس).

(٤) تاريخ دمشق ٥٩/ ١١٢ (الفكر).

(٥) في تاريخ المدينة ٨٢٤-٨٢٥، ومناقب عمر ١٢٦ : أبو الغالية الشامي، وفي المجالسة (٩٨٦): أبو الغادية =

رحْلِه بغير ركاب، وتحته كساء من دبر، وهو فراشه إذا نزل، وعليه قميص من كرابيس قد دَسِم وتَخَرَّق جَيْبه[١]، فقال: ايتوني بقميص، واغسلوا قميصي هذا، فأتوه بقميص كتّان، [فقال: ما هذا؟ قالوا: كتان، قال: وما الكتان؟ فأخبروه] به، وقال: ايتوني بكرابيس، فأتوه به، فنزع ثوبَه وقال: اغسلوه، فقال له دهقان الجابية: أنت ملك العرب، وهذه البلاد لا تصلح فيها الإبل[٢]، فلو ركبتَ بِرذونا، فأُتي ببرذون، فطرح عليه قطيفةً، بغير سَرْج ولا رَحْل، فركبه وسار هُنَيَّةً وقال: احبِسوا، ما كنتُ أظنُّ أن الناس يَركبون الشياطين قبل هذا، عليَّ بجملي، فجيء به فركبه[٣].

وقال هشام: لمّا نزل عمر الجابيةَ جاء إليه عظماءُ أنباط الشام، وقالوا: قد صنعنا لك طعاماً، ونُريدُ أن تدخُل كنيستَنا، فقال عمر: في كنائسكم الصُّورُ، وإنَّ الملائكةَ لا تدخُلُ بيتاً فيه صورةٌ، ومَن دخل بيتاً فيه صورةٌ حبط عملُه أربعين صباحاً، ثم قال لأبي عبيدة: انطلق معهم، فذهب ومعه المسلمون، فدخل كنيستهم، وتغدّى ومَن معه من المسلمين، وجعل يقول: ما ضَرَّ أمير المؤمنين لو دخل وتغدَّى[٤].

## ذكر وقف عمر الشام

ذكر علماءُ السير أن عمر لمّا قدم الجابية استشار الصحابةَ في الشام: هل يقسمه بين الغانمين، أو يُوظِّف عليه الخراج، أو يوقفه على جميع المسلمين؟ فأشار بعضهم بالقسمة، وبعضهم بتوظيف الخراجِ، فقال له معاذ بن جبل: يا أمير المؤمنين، أوقفه على المسلمين فهو أنفعُ لهم، فأجابه عمر إلى ذلك، وأثنى عليه وشكره.

## ذكر مسير عمر بن الخطاب إلى بيت المقدس

قال سيفٌ وغيره: لما توجَّه عمرُ من الجابية إلى فلسطين هرب الأرطبونُ والتذارق

---

= الشامي، وفي تاريخ دمشق ٥٣/ ٢٦٠ : أبو العادية الشامي، وفي تهذيب الكمال (ترجمة عبد الله بن مسلم): أبو العالية الشامي.

(١) في (أ) و(خ): جنبه.

(٢) في (أ) و(خ): لا يصلح ما فيها إلا بك.

(٣) من قوله: وفي رواية علمني وفهمني... إلى هنا ليس في (ك).

(٤) تاريخ دمشق ١٢/ ١١٣ (مخطوط).

صاحب الرملة ومَن في الحصون الساحلية إلى مصر، وكانت الرومُ قد أخذتها من اليونان على ما ذكرنا في صدر الكتابِ[١]. فجهّز عمر عَمرو بنَ العاص، وأردفه الزبير معاوناً له، ولما وصل عمر إلى القُدس خرجَ الرهبان والأقِساءُ والشمامسة والأكابرُ، ودخلوا بين يديه، فأتى محراب داود عليه السلام فصلى فيه، وقرأ سورة «ص» وسجد، وسأل عن الصخرةِ فلم ير لها أثراً. كانت الروم أو اليهودُ قد ألقت عليها الكُناسة، وكان معه كعب الأحبار فقال له: أين الصخرةُ؟ فقال: اذْرَع من الحائط الشرقي كذا وكذا ذراعاً، فذرع فبدت الصخرة، فنظَّفها، وأراد أن يجعل المحرابَ فيها، فقيل له: يضيقُ المسجد بالناس، فوضعه في آخر الحرمِ عند مهد عيسى عليه السلام، وصلى عمرُ فيه وعاد إلى الجابية، ثم عاد إلى المدينة.

**فصل**: وفيها فرض عمر الأُعطية للمسلمين على قَدر السوابق في الإسلام، ودوَّن الدواوين، وقد اختلفوا في ذلك؛ فقال ابن الكلبي: فعل ذلك في هذه السنةِ. وحكى ابن سعدٍ عن الواقدي أنه فعل ذلك في سنةِ عشرين[٢]. وقولُ الكلبيّ أصحُّ.

وكان رضوان الله عليه استشار المسلمين في تدوين الدواوين، فقال له عليّ رضوان الله عليه: تقسم كلَّ سنة ما اجتمع عندك من مال، ولا تُمسك منه شيئاً، وقال عمار رضوان الله عليه[٣]: أرى مالاً كثيراً يسع الناس وإن لم يُحصَوا، حتى تعرف من يأخذ ممن لم يأخذ، خشية أن ينتشر الأمر، فقال له الوليد بن هشام بن المغيرة: يا أمير المؤمنين، إني جئتُ الشام، فرأيت ملوكها يُدوِّنون ديواناً، ويجنّدون جنوداً، فأخذ بقوله، فدعا عَقيل بن أبي طالب ومَخرمة بن نوفل وجُبير بن مُطعِم، وكانوا من نُسَّاب قريش فقال: اكتبوا للناس على منازلهم، فبدؤوا ببني هاشم، ثم أتبعوهم بني تميم أبا بكر رضوان الله عليه وقومَه، فنظر فيه عمر رضي الله عنه فقال: ابدؤوا بقرابة رسول الله ﷺ، الأقرب فالأقرب، حتى تَضعوا عمر حيث وضعه الله، فجاءت بنو عدي إليه فقالوا: أنت خليفةُ أبي بكر، وأبو بكر خليفةُ رسول الله ﷺ قال: وعلى ذلك؟! قالوا: فلو

(١) سلف في أخبار الأمم الماضية.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٧٦.

(٣) في طبقات ابن سعد ٣/ ٢٧٥، وفتوح البلدان ٤٣٦: عثمان بن عفان رضي الله عنه.

جعلتَ نفسك حيث جعلك هؤلاء القوم، فقال: بخٍ بخ يا بني عديّ، أردتم الأكلَ على ظهري، وأن أذهب لكم بحسناتي، لا والله، حتى تأتيكم الدعوة، وإني أُطبق عليكم الدفتر، إن لي صاحبَيْن سلكا طريقاً، فإن خالفتُهما خولف بي، والله ما أدركنا الفضلَ في الدنيا، وما نرجو من الأجر في الآخرة إلا بمحمد ﷺ، فهو شرفنا، وقومُه أشرف العرب.

ثم أمر بالأقرب فالأقرب، حتى انتهى إلى الأنصار، فقالوا: بمَن نبدأ؟ فقال: برهط سعد بن معاذ الأشهلي رضي الله عنه، ثم أهلِ السوابق والمشاهد، قيل له: إن أبا بكر رضوان الله عليه سوَّى بين الناس، فقال: لا أجعل مَن قاتل رسول الله ﷺ كمن قاتل معه، فبدأ بعد الأقرب فالأقرب بمن شهد بدراً من المهاجرين، ثم بالأنصار، يفرض لكل واحدٍ منهم خمسةَ آلاف درهم في كل سنة، حليفُهم ومولاهم معهم على السواء، وفرض للعباس رضي الله عنه خمسة آلاف درهم، وقيل: سبعة آلاف درهم، وفرض لأزواج رسول الله ﷺ لكلّ واحدة اثني عشر ألفاً، وفرض لمن هاجر قبل الفتح، لكلّ رجل ثلاثة آلاف درهم، وفرض لمسلمة الفتح، لكلّ رجل ألف درهم[1]، وفرض لغلمان أحداث أبناء المهاجرين والأنصار كمسلمة الفتح، وفرض لعمر بن أبي سلمة أربعة آلاف درهم، فقال محمد بن عبد الله بن جحش: لِمَ يُفضّل علينا عمر؟ فقد هاجر آباؤنا وشهدوا المشاهد، فقال عمر رضوان الله عليه: أُفضِّله لمكانه من النبي ﷺ، وأنه ربيبُه، فليأت الذي يَستعتب بأمٍّ مثل أمِّ سلمة أُعتبه، وفرض لأسامةَ بن زيد رضي الله عنهما أربعة آلاف درهم، [فقال عبد الله بن عمر: فرضتَ] لي ثلاثة آلاف، وقد شهدت مالم يَشهد أُسامة، فقال: إنما زِدتُه لأنه كان أحبَّ إلى رسول الله ﷺ منك، وكان أبوه أحبَّ إلى رسول الله ﷺ من أبيك، ثم فرض[2] للناسِ على قَدْرِ منازلهم وقرابتهم، وفرض للنساءِ المهاجِرات: لصفية بنت عبد المطلب ستة آلاف درهم، ولأسماء بنت عُميس ألفَ درهم، وكذا لأُمِّ كلثوم بنت عُقبة بن أبي مُعَيْطٍ، ولأُمِّ عبد الله بن مسعود. وفرض للمنفوس مِئة درهم، فإذا ترعرع فرض له مئتي درهم فإذا بلغ زاده مئةً، [وكان إذا أُتي

(١) في طبقات ابن سعد ٣/ ٢٧٧ : وفرض لمسلمة الفتح لكل رجل منهم ألفين.

(٢) من قوله: وكان عمر رضوان الله عليه استشار المسلمين في تدوين الدواوين... إلى هنا ليس في (ك).

باللقيط فرض له مئة درهم، وفرض له رزقاً يأخذه وليه كلّ شهرٍ بقدر ما يصُلحه،] وكان يَنقله من سنةٍ إلى سنةٍ، ورضاعُه ونفقتُه في بيت المال.

وكان يقول: والله الذي لا إله إلا هو، ليس أحدٌ من الناس إلّا وله في هذا المال حقٌّ، ولئن بقيتُ لأبعثنَّ إلى الراعي بجبل صنعاء حقَّه منه قبل أن يحمرَّ وجهُه، يعني في طلبه[١].

وروى ابن سعدٍ عن أبي هريرة قال: قدمت على عمر من البحرين بخمس مئة ألف درهم، فصلَّيتُ معه العشاءَ فقال: ماذا جئتَ به؟ قلتُ: بخمس مئة ألف درهم، قال: ويحك، هل تدري ما تقولُ؟ قال: قلتُ: جئتُ بمئة ألفٍ ومئةِ ألفٍ حتى عددتُها خمس مئة ألف، قال: أنت ناعسٌ، ارجع فنم عند أهلك، فإذا أصبحتَ فأتني، فلما أصبحتُ جئته من الغد، فأعاد عليّ القول، فأجبتُه بمثل ذلك، قال: فقسمه في الناس فلم يدع منه دِرهماً[٢].

وحكى ابن سعدٍ عن الواقدي عن أشياخه قالوا: أرسل عمرُ إلى زينب بنت جحش بمالٍ، فقالت: يرحم اللهُ عمر! غيري من أَخواتي كان أحقَّ مني، وسترت بينها وبين المال بثوبٍ ثم فرَّقته، واختلفوا فيه: فقال قومٌ: كان اثني عشر ألفاً، وقال آخرون: أربعين ألفاً، ثم رفعت يديها إلى السماءِ وقالت: اللهمَّ لا يُدْركني عطاءُ عمر بعدها، فماتت قبل العطاء[٣].

قال: وكان عمر يقول: لئن عشتُ لأدعنَّ أرامل العراق لا يَحتَجْن إلى أحدٍ بعدي، وإني لأرجو أن أكيلَ لهم المال بالصَّاع كَيلاً.

ولما أعطى الناس على مقدار السَّوابق، كلّمه سهيل بن عمرو وصفوان بن أمية وأقرانُهما في تقليل أعطياتهم، فقال: إنما أعطي على السوابق في الإسلام، لا على الأحساب، ثم أعطى بعد ذلك سهيل بن عمرو والحارث[٤] بن هشام أربعة آلاف أربعة

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٧٦-٢٧٩ ، وما بين معكوفات منه، وفتوح البلدان ٤٣٥-٤٣٨ .

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٧٩ .

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٨٠ .

(٤) في (أ) و(خ): بن الحارث، وهو خطأ، ومن بداية الفقرة ليس في (ك).

آلاف؛ معونةً لأجل جهادهما.

ولما كتب الديوان قال له كبار الصحابة؛ كعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف ﷺ: ابدأ بنفسك أوّلاً، فقال: لا والله، بل أبدأ بعمّ رسول الله ﷺ، ثم بالأقرب فالأقرب من رسول الله ﷺ، فبدأ بالعباس ﷺ، ففرض له خمسة وعشرين ألفاً، ثم فرض لأهل بدر خمسة آلاف درهم لكلّ رجل، وأدخل في أهل بدر الحسن والحسين ﷺ لقرابتهما، وأدخل أبا ذر وسلمان ﷺ لسابقتهما، ثم فرض لأهل الحُديبية أربعة آلاف درهم لكلّ رجل، ثم لمَن بعد الحديبية إلى وفاة رسول الله ﷺ خمسة آلاف درهم، ودخل فيمن شهد الفتح[1]، ثم لمن شهد اليرموك والقادسية ألفين ألفين، وزاد فيهم مَن أبلى بلاءً حسناً خمس مئة خمس مئة، فقيل له: لو ألحقت أهل اليرموك والقادسية بمَن تقدَّم، فقال: لاها الله ذا، لم أكن لأُلحقهم بدرجةٍ لم يدركوها، ثم فرض للمردفين الذين بعد القادسية ألفاً ألفاً، ثم لمن بعدهم[2] ثلاث مئة ثلاث مئة، وسوّى كلَّ طبقة في العطاء، الضعيف والقوي، والعربي والعَجمي.

ولما فرض لأزواج رسول الله ﷺ زاد عائشة ﷺ ألفين، فأبت أن تَقبلها، فقال: هذا لمكانِكِ من رسول الله ﷺ، فإذا أخذتيها فشأنك بها، وسأل أزواج رسول الله ﷺ عن القَسْم فقلن: ماكان يُفضّل منا واحدة، وكان قد أراد أن يَنقص مَن جرى عليها الرّق، فلما قُلن ذلك سوَّى بينهن، ثم جعل لنساء أهل بدر خمس مئة خمس مئة، ثم لنساء أهل الحديبية أربع مئة أربع مئة، ثم مابين الحديبية إلى وفاة رسول الله ﷺ ثلاث مئة ثلاث مئة، ولنساء أهل اليرموك والقادسية مئتي درهم مئتي درهم، وللصبيان من أهل بدر وغيرهم مئة مئة، فقال له قائل: يا أمير المؤمنين، لو تركتَ في بيوت الأموال بيثرب عدَّة لنائبة تنوب، أو لحادثة تحدث، فقال: كلمةٌ ألقاها الشيطان على فيك، وقاني الله شرَّها، وهي فتنة لمن بعدي[3]، بل أعدّ لهم طاعةَ الله وطاعة رسوله؛ فهما

(١) في الطبري ٣/ ٦١٤ : ثم فرض لمن بعد الحديبية إلى أن أقلع أبو بكر عن أهل الردة ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف، وانظر المنتظم ٤/ ١٩٤ .

(٢) في (أ) و(خ): بدرجة لم يدركونها، ثم فرض للمردلاف الذين بعد القادسية ألفاً ألفاً، ثم لمن بعدهما.

(٣) في (أ) و(خ): بعدك، والمثبت من الطبري ٣/ ٦١٥ ، والمنتظم ٤/ ١٩٥ .

عُدَّتنا التي أفضينا بها إلى ما ترى، فإذا كان هذا المال ثمن دين أحدكم هلكتم[١].

قال الإمام أحمد رضي الله عنه في «المسند»[٢]: حدثنا عليّ بن إسحاق، حدثنا عبد الله بن المبارك، أخبرنا سعيد بن يزيد قال: سمعتُ الحارث بنَ يزيد الحَضْرمي، يحدِّث عن عُلَيّ ابن رباح، عن ناشرة بن سُمَيٍّ اليَزَنيّ قال[٣]: سمعتُ عمر بن الخطاب يقول يوم نزل الجابية وهو يخطب الناس: إن الله جعلني خازناً لهذا المال وقاسماً له، وإني باديءٌ بأهل رسول الله ﷺ، ثم أشرفِهم، ففرض لأزواج النبي ﷺ عشرة آلاف عشرة آلاف إلا جُوَيرية وصَفيّة ومَيمونة، فقالت عائشة: إن رسول الله ﷺ كان يعدل بيننا، فعدل بينهن عمر.

ثم قال: إني باديءٌ بأصحابي المهاجرين الأولين، فإنا أُخرجنا من ديارنا ظُلماً وعُدواناً، ثم أشرفِهم، ففرض لأصحاب بدر منهم خمسةَ آلاف، ولمن شهد بدراً من الأنصار أربعةَ آلاف، ولمن شهد أُحداً ثلاثةَ آلاف، قال ومَن أسْرع في الهجرة أسرع بالعطاء، ومَن أبطأ في الهجرة أبطأ في العطاء، فلا يَلومنَّ أحدٌ إلا مُناخَ راحلته.

ثم قال: وإني أَعتذرُ إليكم من خالد بن الوليد، إني أمرتُه أن يَحبس هذا المال على ضُعفاء المهاجرين، فأعطاه ذا البأس والشرف واللسان، فنزعتُه، وأمّرت أبا عبيدة بن الجرَّاح، فقال له أبو عمرو بن حفص بن المغيرة: والله لقد نزعتَ عاملاً استعمله رسول الله ﷺ، وغَمدتَ سيفاً سَلّه رسول الله ﷺ، ووضعتَ لواءً نَصبه رسول الله ﷺ، وقطعتَ الرَّحِم، وحسدتَ ابنَ العمِّ، ولقد كنتَ عدوًّا لبني مَخزوم في الجاهلية والإسلام، فقال له عمر رضوان الله عليه: إنك قريبُ القرابة، حديثُ السّنّ، تَغضب لابن عمِّك.

## ذكر ما فرضوا لعمر

قال ابن سعدٍ بإسناده عن أيوب بن أبي أُمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه قال: مكث عمر زماناً لا يأكل من بيت المالِ شيئاً، حتى دخلت عليه في ذلك خَصاصةٌ،

---

(١) من قوله ولما أعطى الناس على مقدار السوابق كلمه سهيل... إلى هنا ليس في (ك).

(٢) برقم (١٥٩٠٦).

(٣) في (ك): وأخرج أحمد في المسند فقال بإسناده عن ناشرة بن سمي اليزني.

فأرسل إلى الصحابة فاستشارهم وقال: قد شغلتُ نفسي بهذا الأمر، فما يصلح لي منه؟ فقال عثمان بن عفان وسعيد بن زيد: كل وأطعِمْ، فقال لعلي: ماتقول؟ فقال: غَداء وعَشاء، فأخذ بقول علي.

وفي رواية ابن سعدٍ أيضاً: أن عمر[١] كان يَسْتَنْفِقُ درهمين كلَّ يومٍ له ولعياله، وأنفق في حجّته ثمانين ومئة درهم، وقال: قد أسرفنا[٢].

ولما فتح الله على المسلمين وقعة رستم[٣]، وقدمت عليه فتوح الشام، شاور الصحابة ﷺ، وقال: ماذا تَرون يحلُّ للوالي من هذا المال؟ وإني كنت امرءاً تاجراً أُعين أهلي بتجارتي، وقد شغلتموني بأمركم، فانظروا ماذا ترون؟ فأكثر القومُ وعليٌّ رضوان الله عليه ساكت، فقال: يا علي، ما تقول؟ فقال: يحلُّ لك ما أصلحك وأصلح عيالَك بالمعروف، ليس لك غيرُ ذلك، فقال القوم: القولُ ما قال علي بن أبي طالب، فرضي به.

وعن ابن عمر ﷺ[٤] قال: لما ولي عمر قعد على رزق أبي بكر[٥] الذي كانوا فرضوا له، فكان على ذلك مدّة، فاشتدت حاجتُه، فاجتمع نفرٌ من المهاجرين، منهم: عثمان وعلي وطلحة والزبير ﷺ، فقال الزُّبير: لو قلنا لعمر في زيادة تزيدونه إياها في رزقه، قال علي: وَدِدنا أنه فعل بنا ذلك، فانطلقوا بنا، فقال عثمان، : إنه عمر! فهلموا لنَسبر ما عنده من وراء وراء، تعالوا ندخل على حفصة، فنُكلِّمها ونَستكتمها أسماءنا، فدخلوا عليها، وسألوها أن تُخبره الخبر من غير تسميتهم، فأخبرته، فغضب وقال: مَن هؤلاء؟ فقالت لا سبيل إلى تسميتهم، فقال: لو علمتُ مَن هم لَسُؤتُ وجوهَهم، أنت بيني وبينهم، أُناشدك الله، [ما أفضل] ما اقتنى رسولُ الله ﷺ في بيتك من الملبَس؟ قالت ثوبَين مُمَشَّقَيْن كان يَلبَسهما للوفد، ويخطب فيهما للجُمَع والعيدين، قال: فأيّ

(١) من قوله: فأرسل إلى الصحابة فاستشارهم... إلى هنا ليس في (خ) و(أ).

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٨٦-٢٨٧ .

(٣) في الطبري ٣/ ٦١٦ ، والمنتظم ٤/ ١٩٦ : وقتل رستم، وقد جمع المصنف بين روايتين لهذا الخبر واختصرهما.

(٤) الخبر في الطبري ٣/ ٦١٦ : والمنتظم ٤/ ١٩٧ ، وتاريخ دمشق ٥٣/ ٢٣٠ (الرسالة) من رواية سالم بن عبد الله.

(٥) في (أ) و(خ): على رزق أرمل؟! والمثبت من الطبري والمنتظم وتاريخ دمشق.

الطعام [ناله عندك] كان أرفع؟ قالت: خُبزة شعير بإهالةٍ سَنِخَةٍ[١] يأكل منها، قال: فأيّ البِساط كان يُبسط له؟ قالت: كساء ثخين، كنا في الشتاء نَبسط نِصفَه تحتنا ونصفَه نَتدثَّر به.

ثم ذكر عيش رسول الله ﷺ، ثم قال: أبلغيهم ذلك، وأن رسول الله ﷺ ترك فُضول الدنيا، وسأسلك ماسلك هو وصاحبه حتى ألحقَ بهما، وإلا حدثُ عن طريقهما، فيُحال بيني وبينهما[٢].

وقالت حفصةُ: مرض عمر، فوُصف له العسلُ، وفي بيت المال عُكَّةٌ من عسلٍ، فصعِد المنبر وقال: أيّها الناس، إني مريض، وقد وُصف لي العسلُ، وفي بيت المال عُكَّةٌ من عسل، فإن أَذنتم لي فيها، وإلا فهي حرام عليّ، وفي رواية: أذنوا له فيها[٣]. وحجَّ عمر بالناس.

فصل وفيها تُوفّي

## سعدُ بن عُبادة

ابن دُلَيم بن حارثة بن أبي حَزِيمة بن ثعلبة بن طَريف بن الخزرج بن ساعدة، وأمُّه عَمرة بنت مسعود بن قيس، خَزرجيّة، وسعد من الطبقة الأولى من الأنصار، وكنيتُه أبو ثابت، وقيل: أبو قيس، شهد العقبة مع السّبعين، وهو أحد النُّقباء الاثني عشر، وشهد المشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ ماخلا بدراً، فإنه تهيَّأ للخروج إليها فنُهش، فأقام، وكان يأتي دُورَ الأنصار فيُحرِّضهم على الخروج إلى بدر، وبلغ رسولَ الله ﷺ أنه نُهش فقال: لئن كان سعد لم يشهد بدراً لقد كان حريصاً عليها.

وقال ابن سعد: كان سعدٌ سيّداً جواداً، يكتب بالعربية، وكانت الكتابة في العرب قليلاً، وكان يُحسن العَوْم والرَّميَ، وكان مَن أَحسن ذلك في الجاهلية يُسمّى الكامل.

---

(١) الإهالة: اسم للشحم والودك أو ما أُذيب منه، والسَّنِخَةُ: المتغيرةُ الريح. النهاية في غريب الأثر (أهل، سنخ). وفي الطبري ٣/ ٦١٧، والمنتظم ٤/ ١٩٧، وتاريخ دمشق ٥٣/ ٢٣١: خبزنا خبزة شعير، فصببنا عليها وهي حارة أسفل عُكّةٍ لنا ـ والعكة زق صغير للسمن ـ فجعلناها هشَّة دسمة، فأكل منها.

(٢) من قوله: ولما فتح الله على المسلمين وقعة رستم.. إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

(٣) أخرجه ابن سعد ٣/ ٢٥٧، والطبري ٤/ ٢٠٨، وابن عساكر ٥٣/ ٢٥٧ عن ابن البراء بن معرور.

وكان سعد وعدَّة آباءٍ له في الجاهلية يُنادى على أُطُمهم: مَن أحبَّ الشَّحمَ واللحم فليأتِ أُطُم دُلَيم بن حارثة، ثم صار يُنادى على باب سعدٍ في الإسلام كذلك[١].

وقال ابن إسحاق والواقدي: كانت قَصعة سعدٍ تدورُ مع رسول الله ﷺ كلَّ ليلةٍ في بيوت أزواجه، وكان إذا خطب امرأة يشترط لها جفنة سعدٍ، وكانت مرَّةً بلحمٍ، ومرةً بلَبن، ومرةً بسمن يبعث بها إليه حيث كان.

قال هشام: جاء سعدٌ ليلةً بجَفْنةٍ مملوءةٍ مُخًّا، فقال له رسول الله ﷺ: يا أبا ثابتٍ، ما هذا؟ فقال: لقد ذبحتُ أربعين ذاتِ كبدٍ، فأحببتُ أن أُشبِعَك من المخّ، فأكل ودعا له بخير.

وحكى الهيثم عن ابن سيرين قال: كان أهلُ الصُّفَّة إذا أمسَوْا انطلق الرجلُ بالرجل والرجلين والخمسة، وينطلقُ سعد بثمانين رجلاً كلَّ ليلةٍ.

وقد ذكرنا أنَّ سعداً صاحبُ السقيفة، وأنَّه امتنع من بيعةِ أبي بكرٍ واعتزلهم في قومه؛ فلم يكن يحضر معهم الجماعات، ويقف بعرفة ناحيةً عنهم، فلما تُوفي أبو بكرٍ استمر على ذلك[٢].

وحكى ابن سعد عن الواقدي أن أبا بكرٍ لمّا ولي أرسل إلى سعدٍ: أن أَقبل فبايع، فقال: لا والله لا أبايعُ حتى أرميكُم بما في كنانتي، وأقاتلُكم بمن تبعني من قومي وعشيرتي، فقال بشير بن سعد لأبي بكرٍ: ياخليفة رسول الله، إنه قد أبى ولجَّ، وليس بمبايعكم حتى يُقتل، ولن يُقتل حتى يُقتل معه ولدُه وعشيرتُه، ولن يُقتلوا حتى يَقتلوا الأوس، فلا تُحرّكوه، فقد استقام لكم الأمرُ، وليس بضارّكم، إنه رجلٌ واحد، فاتركوه ماترك. فقبل أبو بكرٍ مشورة بشير، وقد ذكرنا هذا فيما تقدّم[٣].

قال الواقدي[٤]: فلما ولي عمر لَقِيَه ذات يومٍ في بعض طُرُق المدينة، فقال: إيه يا سعد! فقال: إيه ياعمر! فقال عمر: أنت صاحب المقالة؟ قال سعد: نعم أنا ذاك، وقد

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٥٦٦.

(٢) سلف في حديث السقيفة.

(٣) سلف في حديث السقيفة.

(٤) من قوله: فلما تولي أبو بكر استمر على ذلك... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

أفضى إليك هذا الأمر، كان والله صاحبُك خيراً لنا ـ أو أحبَّ إلينا ـ منك، وقد أصبحتُ كارهاً لجوارك فقال عمر: إنه من كَره جوار جاره تحوَّل عنه، فقال سعد: إني مُتحوِّلٌ إلى جوار من هو خيرٌ من جوارك، وخرج إلى الشام، فتُوفي بحَوران. وهذه رواية ابن سعد عن الواقدي[١].

وقال أبو اليقظان: لما قال له عمر ذلك قال له سعدٌ: هلا تحولت أنت يا عمرُ عن منازلنا وديارنا وأوطاننا حتى ترجع من حيثُ جئتَ، فأنت أولى بذلك، ثم قال: والله لا جاورتُك ولأتحوَّلَنَّ إلى جوار مَن هو خيرٌ من جوارك، وخرج سعدٌ إلى الشام معتزلاً لا يُخالطُ أحداً من الأمراء ولا غيرهم، ولا يُقاتل معهم، ولا يشهدُ مشهداً، حتى تُوفّي على ذلك.

واختلفوا في وفاتِه، فحكى ابنُ سعدٍ، عن الواقديّ، عن يحيى بن عبد العزيزِ بن سعيد بن سعد بن عُبادة، عن أبيه: أنه تُوفّي بحَوران من أرض الشام، لسنتين ونصف من خلافة عمر. قال: وكأنَّه مات سنة خمس عشرة[٢]، فما عُلمَ بموته بالمدينة حتى سمع غِلمان في بئر نصف النهار يتبرَّدون في حرٍّ شديدٍ قائلاً يقول من البئر: [من مجزوء الرمل]

قد قتلنا سيِّدَ الخَزْ ... رَجِ سَعْدَ بنَ عُبادهْ
فرَمَيْناه بسَهْمَيْـ ... ـنِ فلم نُخْطِ فؤادَهْ

فذُعر الغلمان، فحُفِظ ذلك اليوم فوجدوه اليوم الذي مات فيه سعدٌ، وإنما جلس يبول في نفقٍ، فاقتُتل من ساعته، ووجدوه قد اخضرَّ[٣].

وقال ابن سعدٍ بإسناده عن محمد بن سيرين أنه قال: بال سعدٌ قائماً، فلما رجع قال لأصحابه: إني لأجِدُ دَبيباً، فمات، فسمعوا الجنَّ تقول: قتلنا سيد الخزرج، وذكر البيتين[٤].

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٥٦٩ .

(٢) من قوله: وهذه رواية ابن سعد عن الواقدي.. إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٥٧٠ ، وما بعد هذا الكلام إلى نهاية ترجمة سعد ليس في (أ) و(خ).

(٤) طبقات ابن سعد ٣/ ٥٧٠ .

وحكى البلاذريُّ في تاريخه[١] أن سعداً امتنع من بيعة أبي بكرٍ، فوجَّه إليه رجلاً ليأخذ له عليه وهو بحوران، فأبى، فرماه بسهمٍ فقتله، قال: وفيه يُروى هذا الشعر الذي تنتحله الجن.

قلت: وهذا وهمٌ من البلاذريِّ؛ لاتِّفاق أهل السِّير على أن سعداً ما خرج من المدينة إلا بعد موت أبي بكر.

وقال أبو عبيدٍ القاسمُ: مات سعد سنةَ أربع عشرة، وقيل: سنة ست عشرة، والأول أصحّ وأثبتُ، وذكر أبو القاسم بن عساكر في تاريخه[٢] أن سعداً سكن دمشق. قلت: ولا يُعرفُ بحوران قبرُ سعدٍ، وإنما بغوطة دمشق بقريةٍ يُقال لها: المنيحة، فيها قبرٌ يُعرف بسعدٍ، فيحتمل أنه مات بحَوران، ثم نُقل إليها[٣].

وليس في الصحابةِ من اسمه سعد بن عبادة غير اثنين: أحدهما هذا، والثاني سعد ابن عبادة الزُّرقي، أنصاريٌّ أيضاً[٤].

وأسند سعدُ بنُ عبادة عن النبي ﷺ الحديث، فأخرج له أحمد في «المسند» سبعة أحاديث، وليس له في الصحيح شيءٌ.

قال أحمد بإسناده عن قتادة قال: سمعتُ الحسن يُحدِّث عن سعد بن عبادة: أن أمَّه ماتت فقال: يا رسول الله، إنَّ أمّي ماتت، فأتصدَّق عنها؟ قال: «نعم»، قال: فأيُّ الصدقةِ أفضل؟ قال: «سقي الماء»، قال: فتلك سقايةُ آل سعدٍ بالمدينة.

وقال أحمد بإسناده عن عُبيد الله بن عبد الله، [عن] ابن عباس، عن سعد بن عُبادة أنه أتى رسول الله ﷺ فقال: إن أمي ماتت وعليها نَذرٌ، أفيُجزئ أن أُعتِق عنها؟ قال: أعتق عن أمك[٥].

---

(١) أنساب الأشراف ٢/ ١٦-١٧ .

(٢) تاريخ دمشق ٧/ ١٢٦ (مخطوط)، وما قبله منه.

(٣) انظر معجم البلدان ٥/ ٢١٧ ، وتاريخ دمشق ٧/ ١١١ .

(٤) كذا ذكر، واسم هذا الأخير سعد بن عمارة أو عمارة بن سعد، أبو سعيد الزرقي، انظر الاستيعاب (٩٤٥)، وتلقيح فهوم أهل الأثر ١٩٨ ، والإصابة ٤/ ٨٨ .

(٥) الحديثان في المسند (٢٣٨٤٥) و(٢٣٨٤٦).

وقال ابن سعد بإسناده عن سُويد أبي حاتمٍ قال: سمعتُ الحسن، وسأله رجل: أشربُ من ماء هذه السِّقاية التي في المسجد فإنها صدقةٌ؟ فقال الحسنُ: قد شرب أبو بكرٍ وعمرُ من سقاية أمِّ سعدٍ، فمَهْ؟

وقال ابن سعدٍ بإسناده عن ابن عباسٍ، أن سعد بن عُبادة ماتت أمُّه وهو غائبٌ عنها، فسأل رسول الله: أفينفعُها أن أتصدَّق عنها؟ قال: «نعم»، قال: فإني أُشهِدُك أن حائطي المِخْراف صدقةٌ عنها[١].

قلتُ: وقد ذكرنا [أن] أمَّ سعدٍ تُوفيت وسعدٌ مع النبي ﷺ في غزاة دومة الجَنْدل، وكانت في شهر ربيع الأول سنة خمسٍ من الهجرة، فلما قَدِم رسول الله المدينة أتى قبرَها فصلَّى عليها[٢].

واسمُ أمِّ سعد عَمرة بنتُ مسعود بن قيس بن عمرو بن زيد مناة، وكانت من المبايعات، وليس في الصحابيَّات من اسمها عَمرة بنت مسعودٍ غيرها. فأما عمرة غير بنت مسعود فكثير[٣].

## عبد الله بن الزِّبَعْرَى

ابن قيس بن عديّ بن سعد بن سهم[٤] الهاشمي الشاعر، كان يهجو رسول الله ﷺ وأصحابَه، فلما كان يومُ الفتح هرب إلى نَجران، فكتب إليه حسان بن ثابت رحمه الله: [من الكامل]:

لا تَـعـدَمَـنْ رجـلاً أحـلَّـك بُـغـضُـه ... نـجـرانَ فـي عَـيـشٍ أحـذَّ لـئـيـم
غـضـب الإلـه عـلـى الـزِّبَـعْـرى وابـنِـه ... وعـذابُ سـوءٍ فـي الـحـيـاةِ مُـقـيـمِ[٥]

(١) الخبران في طبقات ابن سعد ٣/ ٥٦٨.
(٢) سلف.
(٣) انظر تلقيح فهوم أهل الأثر ٣٣٩، وانظر في ترجمة سعد بن عبادة إضافة إلى ما سبق: المعارف ٢٥٩، والاستيعاب (٨٩٦)، والمنتظم ٤/ ١٩٨، والاستبصار ٩٣، وتهذيب الكمال (٢١٩٨) وفروعه، والإصابة ٢/ ٣٠.
(٤) في (أ) و(خ): تميم، وترجمة ابن الزبعرى ليست في (ك)، والمثبت من طبقات ابن سعد ٦/ ١٠٨، وطبقات فحول الشعراء ٢٣٣، والأغاني ١٥/ ١٧٩، والاستيعاب (١٣٧٨)، والمنتظم ٤/ ٢٠٠، والتبيين ٤٦٩، والإصابة ٢/ ٣٠٨.
(٥) ديوان حسان ٤١٦.

ولم يَزدْ على هذا، فقدم على رسول الله ﷺ، فأسلم وحَسُن إسلامُه، وكان من أشعر الناس، شهد ما بعد الفَتْح من المشاهد مع رسول الله ﷺ، ومن شعره: [من الخفيف]:

يا رسولَ المليك إنّ لساني ... راتِقٌ ما فَتَقْتُ إذ أنا بُورُ
جئتَنا باليقين والصِّدقِ والبر ... ر وفي الصِّدقِ واليقين السرور
أذهب الله ضَلَّةَ الجهلِ عنَّا ... وأتانا الرَّخاءُ والميسورُ[1]

وله صُحبةٌ ورواية.

❁ ❁ ❁ ❁

(١) ديوانه ٣٦.